الصبر ضيق العطن، فبادر بهجاء أميره هجاءً مراً، يثير الحفيظة ويذهب بالألباب.

وبدأ الهجاء أول مابدأ بالبيت والبيتين من الشعر، ثم إذا به يستوي قصائد كاملة تنضح شتماً مؤلماً جارحاً، تتناول "عباداً" في عرضه وحسبه ونسبه وترتفع لتطال الخليفة (معاوية بن أبي سفيان) وأباه وجده، سيما وأن زياد بن أبيه كان ملصقاً بنسب أبي سفيان إلصاقاً وكان يعرف بـ"زياد بن سمية" ليس غير. وكان من شأن تلك القصائد أن أثارت عجاجة كدرة كادت تشعل أوار فتنة كبرى بين اليمانية رهط الشاعر، وبين آل زياد الأمراء المنتسبين إلى بني عبد شمس، فقد أصر الأمير على قتله، وإزهاق روحه، فمنعه يزيد وسارع بحكمته فأطفأ لهيب الفتنة المستعر، ونصر الشاعر على الأمير، بعد أن حذره من العودة إلى ذم آل زياد وهجومهم، فكيف حصلت الفتنة بين الرجلين؟.

قلنا: إن ابن مزيد قد صحب "عباداً" إلى سجستان، وكان من المفروض آنذاك على الشاعر أن يسير في موكب أميره، ويسايره أنى ذهب، وإذا شغلت بال الأمير مشاغل الإمارة وقضايا الناس ومشكلات الفتح جعلته ينسى الشاعر في زحمة تلك المشاغل، فيضيق الشاعر ذرعاً بذلك وينفث نفثة من لسانه فتصل إلى أسماع عباد فيضمر له الشر كل الشر.

وكانت مناسبة تلك النفثة أو ذلك البيت الملعون من الشعر، أن داهم سجستان الجفاف في إثر انحباس المطر فقل الكلأ والمرعى وجاعت الخيل وهزلت، وفيما كان "عباد" يركب بجماعة من الفرسان، صهوات تلك الخيول الهزيلة المضحكة، ذات يوم هبت الريح فتناثرت لحية "عباد" فتضاحك "ابن مزيد" من المنظر وقد آلمه الحال والهزال فقال:

ألا ليت اللحى كانت حشيشاً فنعلفها خيول المسلمينا

فسمعه رجل من لخم فسعى به إلى "عباد" فغضب غضباً شديدا وقال: "لايجمل بي عقوبته في هذه الساعة مع الصحبة لي، وما أؤخرها إلا لأشفي نفسي منه لأنه كان يقوم فيشتم أبي في عدة مواطن، وبلغ الخبر ابن مزيد فقال: "إني لأجد ريح الموت من عباد" وكان ابن مزيد قال فيما قاله من الهجاء قوله:

ألا أبلغ معاوية بن حرب مغلغلة من الرجل اليماني

أتغضب أن يقال أبوك عف وترضى أن يقال أبوك زان